

هَذَا كِتَابِي

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فِي بَيْتِهِ

تَأْلِيفُ

الدُّكْتُورَةُ رَسِيدَةُ عَمَّامُوسَى

تَقْرِيطُ

السَّيِّدَةِ جُحَيْرِ بْنِ جَبْرِ الدُّبَيْرِ الْبَاهِلِيِّ

دار الفصيلة

هَذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فِي بَيْتِهِ

تَأْلِيفُ

الدُّكْتُورَةِ وَرَسُولَةِ عَمَامُوسْ

تَقْرِيطُ

السَّيِّدِ جَعْفَرِ بْنِ جَعْفَرِ الدُّكْتُورِ الْكَلْبَانِي

دار الفضيحة
للنشر والتوزيع

چندین سال

مستند

نقش

در این کتاب

مستند

مستند

عظمة وشمس شمس الجاهلي حفظه الله ..

تأليفه في

تأليفه في التأليف على رسول الله
عليه السلام

تأليفه في التأليف على رسول الله

تأليفه في التأليف على رسول الله

تأليفه في التأليف على رسول الله

تأليفه في التأليف على رسول الله

تأليفه في التأليف على رسول الله

هذه النبي
في بيته

حقوق الطباعة محفوظة

الطبعة الأولى لدار الفضيحة

(1433 هـ - 2012 م)

رقم الإيداع: X - 2012

ردمك: X - X - 866 - 9947 - 978

دار الفضيحة للنشر والتوزيع

العنوان: حي باحة (03)، رقم (28) اللدو - المحمدية - الجزائر

هاتف وفاكس: 021519463

التوزيع: 08 53 62 661 (0661)

البريد الإلكتروني: darelfadhila@hotmail.com

موقعنا على الشبكة العنكبوتية: www.rayatalislah.com

كلمة الشيخ عُبَيْد الجابري . حفظه الله .:

الحمد لله، والصَّلَاة والسَّلَام على رسول الله.

فقد استعرضتُ البحث الموسوم بـ «هدي النبي ﷺ في بيته» بقلم الأخت في الله «وسيلة بنت عمر حماموش»؛ فألفيته بحثاً قيماً، جديرًا بالاستفادة منه، بذلتُ فيه الكاتبة - جزاها الله خيرًا - جهداً مشكوراً في جمع سنة خير المرسلين ﷺ في بيته. وهذا ما ينبغي أن يعلمه كلُّ مسلم ومسلمة، حتَّى يحسن معاملته مع أهل بيته في ضوء هذه السُّنة المباركة. ثمَّ أضافت الكاتبة أقوال بعض أهل العلم شرحاً لما يحتاج إلى شرح.

فشكر الله للأخت وسيلة سَعْيَهَا، وتقبَّل مِنَّا ومنها صالح الأعمال، ونفع أهل الإسلام بهذا العمل الجليل.

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله
من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ
له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ

أَجْمَعِينَ.

وَكُتِبَهِ

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرّس بالجامعة الإسلامية سابقاً

بعد عشاء الثلاثاء، الخامس والعشرين

من شهر الله المحرم من عام ثلاثة

وثلاثين وأربعمائة وألف هجرياً

الموافق للعشرين من شهر ديسمبر عام

إحدى عشر وألفين ميلادياً

هي سكن لهم، يأوون إليها، ويستترون بها، ويتنفعون بها
سائر وجوه الانتفاع».

ذكر - تبارك وتعالى - في الآيتين السَّكن الرُّوحي
النَّفسي والسَّكن المادِّي الحسِّي، وهما ركنا البيت المسلم، غير
أنَّ أكثر المسلمين تاهَ مضيِّعًا وقته وماله في تحسين الجانب
المادِّي حتَّى أفرط في ذلك وضيع الجانب الرُّوحي والنَّفسي
ولم يَجْنِ سوى التَّعاسة والشَّقَاء والحزن والهَمُّ والشَّتات،
ومظاهر ذلك جليَّة في المجتمعات المسلمة، والسَّبب غياب
الموازنة بين الجانبين بميزانٍ شرعيٍّ صحيح.

ولا شكَّ أنَّ العلاج لهذه الحال المزرية ليس بالصَّعب
ولا المعقَّد إنَّما هو سهل يسير على من يسَّره الله عليه.
يحتاج إلى صدقٍ وعزيمة، وهو الرُّجوع إلى الأسوة
القدوة نبيِّ الأمَّة محمَّد ﷺ.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ

عَفْلِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهُدى هُدى محمد
ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة
ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

أما بعد:

قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير الآية: «فلا ألفة بين روحين
أعظم ممَّا بين الزوجين».

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾
[النحل: ٨٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير الآية: «يذكر - تبارك
وتعالى - تمام نعمه على عبده، بما جعل لهم من البيوت التي

والنُصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدُّنيا والآخرة،
ولمخالفيه الذَّلَّة والصَّغار والخوف والضَّلال والخذلان
والشَّقَاء في الدُّنيا والآخرة»^(١).

ففي موضوعنا هذا أعرض النُّصوص الصَّحيحة من
سنة رسول الله ﷺ في بيته؛ لنهتدي بهديه، ونعيش حياة
التَّوسُّط والاعتدال، ونبتعد عن حياة الجاهليَّة الَّتِي شغلتنا
عن الغاية العظمى الَّتِي من أجلها خلقنا، قال تعالى: ﴿وَمَا
خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، في زمن
طغت فيه المادِّيَّات، لعبٌ وهُوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ^(٢)، تباهى فيه
النَّاس بأغلى الأثاث، وتنافسوا في بناء الدُّور والقصور،
مُجَمَّلة الظَّاهر، مزيَّنة بالنَّهارق، ولكنها خاوية الرُّوح، وفاقدة
الأنس بالله، أصابها الغرور، ونسيت الاستعداد للقاء الله.

(١) من مقدِّمة ابن القيم على «زاد المعاد».

(٢) كما قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠].

يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال ابن كثير في «تفسيره»: «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التَّأْسِي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله». ولقد نعلت لنا أمّهات المؤمنين - وهنَّ محلُّ الصَّدق والعدالة والأمانة بإجماع أهل العلم والإيمان - عن كلِّ شأن من شؤونِه ﷺ في بيته.

ولاشكَّ أنَّ هذا الأمر ذا أهميَّة كبيرة؛ فالبيت كما يقال هو عُشُّ الأسرة التي يترعرع فيها أفرادها وينشؤون، فالأسرة المسلمة هي اللَّبنة الأولى في بناء المجتمع، فلا بدَّ من تكوينها التَّكوين السَّليم والسَّديد والصَّحيح.

فكيف كانت حياته - عليه الصَّلَاة والسَّلَام - في بيته؟ لنقتدي به ونتأسَّى ونسعى إلى تكوين وتقويم أُسْرِنَا على نهجه، فَقَدْ تَرَكْنَا على المحجَّة الصَّافية النِّقيَّة، «فالله سبحانه علَّق سعادة الدَّارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدَّارين في مخالفته، فلا تُباعه الهدى والأمن والفلاح والعزَّة والكفاية

ولكننا نجد أنَّ الكثير من المسلمين غرقوا في المظاهر
البرَّاقة من التَّكَلُّف في البناء بما لا فائدة فيه إلا المظاهر
والتَّفاخر والتَّنَافس، فغرقوا في الدُّيون لأجل ذلك، وليس
هناك سوى هديه ﷺ لضبط التَّوسُّع في البناء.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «كنت أدخل بيوت أزواج
النَّبِيِّ ﷺ في خلافة عثمان بن عفَّان فأتناول سقفها بيدي»^(١).

وعن داود بن قيس قال: «رأيت الحجرات من جريد
النَّخل، مَغْشَى من خارج بمسوح الشَّعر، وأظنُّ عرض
البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحوًا من ستٍّ أو سبع
أذرع، وأحزر البيت عشر أذرع، وأظنُّ سمكه بين الثَّمان
والسَّبع ونحو ذلك، ووقفت عند باب عائشة فإذا هو
مستقبل المغرب»^(٢).

قال سعيد بن المسيَّب يوم أُدخلت الحجرات في مسجد

(١) «صحيح الأدب المفرد» (ص ١٥٥).

(٢) المرجع نفسه.

هدي الرسول ﷺ

في بناء وتأثيث بيته ومأكله ومشربه

قد جعل النبي ﷺ من أسس السَّعادة: سعة البيت، وكثرة مرافقه، فعن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ مِنَ السَّعَادَةِ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ، فَمِنْ السَّعَادَةِ: الْمَرَأَةُ الصَّالِحَةُ تَرَاهَا فَتُعْجِبُكَ وَتَغِيبُ عَنْهَا فَتَأْمَنُهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكَ، وَالدَّابَّةُ تَكُونُ وَطِئَةً فَتُلْحَقُكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالدَّارُ تَكُونُ وَاسِعَةً كَثِيرَةَ الْمَرَافِقِ، وَمِنْ الشَّقَاءِ: الْمَرَأَةُ تَرَاهَا فَتَسُوؤُكَ، وَتَحْمِلُ لِسَانَهَا عَلَيْكَ، وَإِنْ غِيبَتْ عَنْهَا لَمْ تَأْمَنُهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكَ، وَالدَّابَّةُ تَكُونُ قَطُوفًا، فَإِنْ ضَرَبَتْهَا أَتْعَبَتْكَ وَإِنْ تَرَكْتَهَا لَمْ تُلْحَقْ بِأَصْحَابِكَ، وَالدَّارُ تَكُونُ ضَيِّقَةً قَلِيلَةَ الْمَرَافِقِ»^(١).

(١) رواه الحاكم، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٦) و«الصَّحِيحة» (١٨٠٣).

وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: «ذَكَرَ عُمَرُ مَا أَصَابَ النَّاسَ
مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظُلُّ الْيَوْمَ
يَلْتَوِي، مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ»^(١) مَا يَمْلَأُ بَطْنَهُ»^(٢).

بَلْ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو اللَّهَ الْيَسِيرَ مِنَ الدُّنْيَا،
فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ
مُحَمَّدٍ قُوَّةً»^(٣)، وَفِي رِوَايَةٍ: كِفَافًا^(٤)»^(٥).

* أَمَّا أَثَاثُهُ وَفِرَاشُهُ؛ فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَصِفُ فِرَاشَهُ
وَأَثَاثَ بَيْتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ
اللَّهِ - ﷺ - الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَمًا حَشْوُهُ لَيْفٌ»^(٦).

وَتَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَيْضًا: «كَانَ لَنَا حَصِيرٌ نَبْسُطُهَا

(١) التَّمَرُ الرَّدِيُّء.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٩٧٧).

(٣) مَا يَسُدُّ بِهِ الرَّيْقَ، سَمِّيَ قُوَّةً لِحَصُولِ الْقُوَّةِ بِهِ.

(٤) مَا لَا يَفْضُلُ عَنِ الشَّيْءِ، وَيَكُونُ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ.

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٦٠)، مُسْلِمٌ (١٠٥٥).

(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠٩١)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٨٤)، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

رسول الله ﷺ: «والله لو ددت أنهم تركوها على حالها ينشأ
ناشئ من أهل المدينة ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى
به رسول الله ﷺ في حياته، فيكون ذلك مما يزهد الناس في
التكاثر والتفاخر».

وقال أبو أمامة يومئذ: «ليتها تركت فلم تُهدم حتى
يقصر الناس عن البناء، ويروا ما رضي الله لنبيه ﷺ ومفاتيح
خزائن الدنيا بيديه»^(١).

الله أكبر! ما أوسع الهوة بيننا وبينه ﷺ!

* ليس هذا فقط، فقد كان الرسول ﷺ في مأكله
ومشربه كذلك.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما شبع آل محمد من خبز
الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ»^(٢).

(١) «طبقات ابن سعد» (١/ ٥٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٧٠).

عمرو بن عوف المزني أَنَّ رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة ابن
الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ
صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم
أبو عبيدة بهال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم
أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع النبي ﷺ، فلما انصرف
تعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، ثم قال:
«أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء؟»، قالوا: أجل
يا رسول الله! قال: «فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما
الفقر أخشى عليكم، ولكنني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا،
كما بسطت على من كان من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها،
وتهلككم كما أهلكتهم»^(١).

فيجب علينا التقلل من الدنيا للإقبال على الله والدار
الآخرة، وإلا فُتنت الأنفس وقست القلوب وضاعت

(١) أخرجه البخاري (٤٠١٥).

بالنَّهار، وَنَحْتَجِرُهَا عَلَيْنَا بِاللَّيْلِ»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «نام رسول الله ﷺ على حصير، فأثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله! ألا آذنتنا فنبسط تحتك ألين منه؟ فقال: «مَالِي وَلِلدُّنْيَا؟! إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ سَارٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَقَالَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»^(٢).

فهلَّا اقْتَصَدْنَا فِي مِلذَّاتِ الدُّنْيَا، فَقَدْ كَانَ ﷺ يَمْلِكُ مِفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا بِيَدَيْهِ وَكَانَ لَهُ مِنَ الْمَسْكَنِ مَا رَأَيْتَ! إِنَّ فِتْنَةَ تَفْتُحِ الدُّنْيَا الْيَوْمَ مَسَّتْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ - إِلَّا مِنْ رَحِمِ اللَّهِ - حَتَّى تَنَافَسُوا فِي الصَّحْنِ وَالْفَنَاجَانِ! وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَسَتْ الْقُلُوبُ وَتَخَالَفَتْ؟

وَقَدْ حَذَّرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ؛ ففِي حَدِيثِ

(١) أخرجه البخاري (٦٩٧).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»، وصحَّحه أحمد شاكر، والترمذي قال:

«حسن صحيح»، انظر: «السلسلة الصحيحة» برقم (٤٣٩).

هدي الرسول ﷺ في عبادته

لقد كان بيت رسول الله ﷺ بيت تُقَى وعادة بكل أنواعها:
الصَّلاة وقيام اللَّيل والصَّيام والصَّدقة والأمر بالمعروف والنَّهي
عن المنكر والذكر والتَّسبيح وقراءة القرآن، فهنيئًا لمن اتَّبعه واقتفى
أثره ليكون بيته كبيته - عليه الصَّلاة والسَّلام -.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فهذا العلم الصَّافي المتلقَّى من
مشكاة الوحي والنُّبوة يهدي صاحبه لسلوك طريق العبودية،
وحقيقتها: التَّأدُّب بآداب رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا،
والوقوف معه حيث وَقَفَ بِكَ، والسَّير معه حيث سار بِكَ،
بحيث تجعله بمنزلة شَيْخِكَ...

فتجيبه إذا دعاكَ، وتقبل حيث قال، وتنزل إذا نزل،
وتغضب لغضبه، وترضى لرضاه، وإذا أخبركَ عن شيء
أنزلته منزلة ما تراه بعينك، وإذا أخبركَ عن الله بخبر أنزلته

الأنفاس في التَّزَوُّد بالفاني من زخارف الدُّنيا وترك الباقي
النَّافع من الأعمال الَّتِي تكون لنا ذخراً يوم القيامة.
فيا مسلمين! هلمُّوا للإقبال على الله والدار الآخرة؛
فإنَّ الدُّنيا دار فناء لا دار بقاء، شَمِّروا على سَاعِدِي الجِدِّ إلى
جَنَّة عرضها السَّمَاوَات والأَرْض كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا
إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وليس لنا سبيلٌ إلى ذلك سوى سبيل نبيِّنا مُحَمَّد ﷺ.

ابن عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي
بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا»^(١).

وعليك الاقتداء به في اجتهاده في العبادة؛ فعن عائشة
رضي الله عنها قالت: «فقدتُ رسولَ الله ﷺ ليلةً مِنَ الفراش
فالتمسته فوقعتُ يدي على بطن قدميه وهو في المسجد،
وهما منصوبتان وهو يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ
سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا
أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(٢).

وهذا المغيرة بن شعبة يصف لنا اجتهاده في العبادة فيقول:
«قام النبي ﷺ حَتَّى وَرَمَتْ قَدَمَاهُ، قَالُوا: قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا
تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(٣).
وكان ﷺ يصلي خاشعًا متدبرًا كلامَ الله؛ فقد روى

(١) أخرجه البخاري (٤٢٢)، ومسلم (٧٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٧٨)، ومسلم (٢٨١٩).

منزلة ما تسمعه عن الله بأذُنِكَ.

وبالجملة؛ فتجعل الرسول شيخك وأستاذك ومعلمك
ومربيك ومؤدّبك، وتسقط الوسائط بينك وبينه إلّا في التبليغ، كما
تسقط الوسائل بينك وبين المرسل في العبوديّة، ولا تثبت وساطة
إلّا في وصول أمره ونهيّه ورسالته إليك، وهذان التجريدان هما
حقيقة شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدا عبده ورسوله.

والله وحده هو المعبود المألوه الذي لا يستحقّ العبادة
سواه، ورسوله المطاع المتّبع المهتدى به الذي لا يستحقّ
الطاعة سواه.

ومن سواه فإنّما يُطاع إذا أمر الرسول بطاعته فيُطاع تبعاً
للأصل.

وبالجملة؛ فالطريق مسدودة إلّا على من اقتفى آثار
الرسول ﷺ، واقتدى به في ظاهره وباطنه»^(١).

وها هو النبيُّ ﷺ يدعوك لتعبد الله في بيتك؛ فعن

(١) «مدارج السّالّكين» (٢/ ١٤٢).

الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ [البقرة: ١١٠].

فلنا أن نتعلم أحكام الصلاة وصفتها على الوجه الذي أداها
بها رسول الله ﷺ حيث قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(١).

* ومن العبادات التي كان النبي ﷺ مجتهدًا فيها:
الصَّيَّام، فقد وصفته عائشة رضي الله عنها في شدة اهتمامه به، فقالت:
«كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى
نقول لا يصوم؛ فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام
شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان»^(٢).

* أمَّا عن الصدقة؛ فقد كان ﷺ أجود الناس؛ لما رواه
عقبة بن الحارث رضي الله عنه أنه قال: «صَلَّيتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ
العصر، فلما سلَّم قام سريعًا، فدخل على بعض نسائه، ثمَّ

(١) أخرجه البخاري (٦٨١٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٤٣)، ومسلم (١٩٦٢)، واللفظ للبخاري.

ابن حَبَّان في «صحيحه» بإسناد جيّد عن عطارة قال: «دخلتُ
أنا وعُبَيْدُ اللَّهِ بن عُمَيْرٍ على عائشة رضي الله عنها، فقال عُبَيْدُ اللَّهِ ابن
عُمَيْرٍ: حَدَّثِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟
فَبَكَتْ وَقَالَتْ: قَامَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي - تَعْنِي يَصَلِّي - فَقَالَ: يَا
عَائِشَةُ! ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ لِرَبِّي، قَالَتْ: قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحَبُّ
قُرْبِكَ وَأَحَبُّ مَا يَسْرُكُ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يَصَلِّي فَلَمْ
يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حَجْرَهُ ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ
الْأَرْضَ، وَجَاءَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَأَاهُ يَبْكِي قَالَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ! تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا
تَأَخَّرَ؟! قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ
آيَاتٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]»^(١).

وقد أمرنا الله تعالى بإقامة الصلاة؛ فقال: ﴿وَأَقِمْوْا

(١) (٢٨٥) وكذا صحيحه (٢).

(١) «السلسلة الصحيحة» برقم (٦٨). (٨٧٠) وكذا صحيحه (٢).

إِذَا فَمِنَ مَفَاتِيحِ إِصْلَاحِ بَيوتِنَا هِيَ عِمَارَتُهَا بِذِكْرِ اللَّهِ مِنْ
صَلَاةٍ وَقِيَامٍ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ، فَتَكُونُ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ
الْجَنَّةِ لَا حُفْرَةَ مِنْ حُفْرِ النَّارِ، وَلَنَجْعَلَ الْبُيُوتَ لِلْعِبَادَةِ لَا
لِلْقَنُوتِ وَالْفَضَائِيَّتِ وَالْأَخْبَارِ وَالْمُبَارِيَّاتِ وَاللَّهْوِ؟!
إِنَّ الْعِبَادَةَ طَرِيقُ السُّؤْدُدِ وَالتَّمَكُّينِ، فَأَيْنَ نَحْنُ الْيَوْمَ
مِنْ عِبَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ فِي بَيوتِنَا؟ وَقَدْ ضَيَّعَ النَّاسُ الْفُرُوضَ
قَبْلَ النَّوَافِلِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ!

ثُمَّ لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ تَحْقِيقَ التَّوْحِيدِ بِالْمَدَاوِمَةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ،
فَالْأَذْكَارُ كُلُّهَا دَالَّةٌ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَعْظِيمِهِ لِمَنْ تَأَمَّلَهَا
وَفَقَّهَهَا^(١)، كَيْفَ وَقَدْ خَلَّتِ الْبُيُوتُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَعَشَّشَ
فِيهَا الشُّرَكَ وَنَبَتَ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ.

(١) راجع غير مأمور: «الوابل الصَّيِّبُ مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» لابن القيم،
و«فقه الأدعية والأذكار» للشيخ عبد الرزاق البدر، فهما نافعان
ومفيدان.

خرج ورأى ما في وجوه القوم من تعجبهم لسرعته، فقال:
ذَكَرْتُ وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ تَبْرًا - أَي ذَهَبًا - عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ
يُمْسِيَ أَوْ يَبْتَ عِنْدَنَا، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ»^(١).

وفي رمضان يكون أجود من الرِّيح المرسلة، كما جاء في
البخاري ومسلم: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَأَجْوَدُ مَا
يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ»؛ لِأَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي
شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَغْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ،
فَإِذَا لَقِيَهُ جَبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»^(٢).

لقد كان بيت النبي ﷺ بيت عبادة وذكر، وقد ضرب
لنا رسول الله ﷺ مثلاً للبيت الذي يُذكر الله فيه والبيت
الذي لا يذكر الله فيه، فقال ﷺ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكَّرُ اللَّهُ
فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (١١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١١)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (٧٨٢).

ولنقف وقفة تدبر لهذا الحديث، ولنتمعن قول
الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ في «نيل الأوطار»^(١) في شرح الحديث: «في
ذلك تنبيه على أعلى الناس رتبة في الخير وأحقهم بالاتِّصاف به
هُوَ مَنْ كَانَ خَيْرَ النَّاسِ لِأَهْلِهِ؛ فَإِنَّ الْأَهْلَ هُمْ الْأَحَقُّ بِالْبَشَرِ
وَحَسَنَ الْخَلْقِ وَالْإِحْسَانِ وَجَلَبَ النَّفْعَ وَدَفَعَ الضَّرَّ، فَإِذَا كَانَ
الرَّجُلُ كَذَلِكَ فَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ
فَهُوَ فِي الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ الشَّرِّ، وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ النَّاسُ فِي هَذِهِ
الْوَرُطَةِ، فَتَرَى الرَّجُلَ إِذَا لَقِيَ أَهْلَهُ كَانَ أَسْوَأَ النَّاسِ أَخْلَاقًا
وَأَشَحَّهَمُ نَفْسًا وَأَقْلَهَمُ خَيْرًا، وَإِذَا لَقِيَ غَيْرَ الْأَهْلِ مِنْ
الْأَجَانِبِ لَأَنْتَ عَرِيكَتُهُ وَانْبَسَطَتْ أَخْلَاقُهُ وَجَادَتْ نَفْسُهُ
وَكَثُرَ خَيْرُهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مُحْرَمٌ التَّوْفِيقِ،
زَائِعٌ عَنِ سَوَاءِ الطَّرِيقِ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ» اهـ.

ولقد كان ﷺ في خدمة أهله، فعن الأسود قال: سألت

هدي الرسول ﷺ مع زوجاته

لقد تمثل المصطفى ﷺ صورة المعاشرة مع أهله في أبهى حُلَّيها؛ فكان - عليه الصَّلاة والسَّلام - خيرَ زوجٍ لخيرِ أَهْلٍ، كيف لا؟! وهو القائل فيما وَرَدَ عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(١).

قال المناوي رحمته الله: «ولهذا كان على الغاية القصوى من حسن الخلق معهنَّ، وكان يُدَاعِبُهُنَّ وَيُبَاسِطُهُنَّ...» «وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»، أي بِرًّا ونفعًا لهم، دينًا ودنياً، أي فتابعوني ما أمركم بشيء إلا وأنا أفعله» اهـ^(٢).

(١) «صحيح الترمذي» (٣٨٩٥) و«السلسلة الصحيحة» (٢٨٥).

(٢) «فيض القدير» (٤٩٦/٣).

فِيهَا خَفٌّ مِنَ الْخِدْمَةِ وَيَعِينُهَا؛ لَمَّا رَوَتْهُ عَائِشَةُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ خَرَجَ، وَهَذَا قَوْلُ
مَالِكٍ: وَيَعِينُهَا، وَفِي أَخْلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَخْصِفُ النَّعْلَ
وَيَقِمُ الْبَيْتَ وَيَخِيطُ الثَّوبَ».

انظروا - هداني الله وإياكم - إِلَى خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَلْ
مِنْ رَجَالِنَا - إِلَّا مِنْ رَحِمِ اللَّهِ - مَنْ يَسْتَنُّ بِهِ فِي هَذَا، فَبَعْضُ
الرَّجَالِ - وَلَيْسَ كُلُّهُمْ طَبْعًا - لَا يَفَرِّقُونَ بَيْنَ الْقَوَامَةِ الشَّرْعِيَّةِ
وَالْقَوَامَةِ الْعَرْفِيَّةِ الَّتِي تَرْبَى عَلَيْهَا، بَلْ تَجِدُهُ يَحْكُمُ بَعْضُ
الْأَعْرَافِ الْبَالِيَةِ وَيَقْدِّمُهَا عَلَى هَدْيِ الْمُصْطَفَى ﷺ وَيَتَشَدَّقُ
بِقَوْلِهِ: ذَاكَ نَبِيٌّ وَأَنَا لَسْتُ بِنَبِيٍّ، صَادِدًا عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَعِينُ زَوْجَتَهُ فَتَلِكُ عَلَامَةٌ عَلَى
صَلَاحِهِ وَدِينِهِ وَخُلُقِهِ وَتَأْسِيهِ بِالْمُصْطَفَى ﷺ.

قَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «آدَابِ الزَّفَافِ»: «لَيْسَ فِي
وَجُوبِ خِدْمَةِ الْمَرْأَةِ لَزُوجِهَا مَا يَنَافِي اسْتِحْبَابَ مِشَارَكَةِ

عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»^(١).

قال ابن حجر في شرح الحديث بعد أن ساق جملة من رواياته: «قال ابن بطال: من أخلاق الأنبياء التواضع، والبعد عن التَّعَنُّم، وامتهان النفس؛ لِيُسْتَنَّ بهم ولئلا يخلدوا إلى الرِّفاهية المذمومة، وقد أشير إلى ذمِّها بقوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١]»^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يخيظ ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرِّجال في بيوتهم»^(٣).

قال القرطبي في «الجامع»^(٤): «ويخدم الرِّجل زوجته

(١) أخرجه البخاري (٦٧٦).

(٢) «فتح الباري» (١٠/٥٦٦).

(٣) «مسند أحمد» (٢٤٣٨١)، و«صحيح ابن حبان» (٥٦٧٧)، «صحيح

الجامع» (٤٩٣٧).

(٤) (١٠/١٤٥).

لتأكلين أو لألطيخن وجهك، فأبْتُ، فوضعت يدي في
الحريرة فطلبت وجهها فضحك النبي ﷺ، فوضع يده لها
وقال لها: «ألطخي وجهها» فضحك النبي ﷺ لها، فمرَّ عمر
فقال: يا عبد الله! يا عبد الله! فظنَّ أنه سيدخل فقال: «قُومَا
فَاغْسِلَا وَجُوهَكُمَا»، قالت عائشة: فما زلت أهاب عمر لهيَّبة
رسول الله ﷺ (١).

وكان ﷺ يمازح زوجاته، ولم يكن فظًّا غليظًا، فقد كان
يلاطف عائشة، فقد سبقها مرَّتين، سبقته في الأولى، وسبقها
في الثانية.

قالت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كُنْتُ مع رسول الله في
سفر، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال لأصحابه:
«تَقَدَّمُوا»، فتقدَّموا، ثمَّ قال: «تَعَالِي أَسَابِقُكِ»، فسَابَقْتُهُ،
فسَبِقْتُهُ على رجلي، فلمَّا كان بعد (وفي رواية: .. فسكت عني

(١) «السُّنن الكبرى» للنسائي (٨٨٦٨)، «السَّلسلة الصَّحيحة» برقم (٣١٣١).

الرَّجُلُ لَهَا فِي ذَلِكَ إِذَا وَجَدَ الْفَرَاغَ وَالْوَقْتَ، بَلْ هَذَا مِنْ
حَسَنِ الْمَعَاشِرَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ»^(١).

وَمِنْ طَيِّبِ عَشْرَتِهِ ﷺ أَيْضًا: مَا جَاءَ فِي «الشَّهَائِلِ» لِأَبِي
الْحَسَنِ الضَّحَّاكِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صِفَتِهِ
- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «مُتَوَاضِعٌ فِي غَيْرِ مَذَلَّةٍ».

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: «وَفِيهِ أَنَّ الْأَئِمَّةَ وَالْعُلَمَاءَ يَتَنَاوَلُونَ خِدْمَةَ
أُمُورِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الصَّالِحِينَ»^(٢) اهـ.

فَلْيَتَأَمَّلِ الْقَارِئُ هَذَا الْقَيْدَ الْوَارِدَ فِي الْحَدِيثِ مَا أَجْمَلُهُ!
فَلَيْسَ كُلُّ خِدْمَةٍ فِي الْبَيْتِ تَصْلُحُ لِلرَّجُلِ.

كَمَا أَنَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَانَ مَرِحًا؛ فَعَنْ عَائِشَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَتَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ بِحَرِيرَةٍ قَدْ طَبَخْتُهَا لَهُ، فَقُلْتُ
لِسُودَةَ - وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَهَا -: كُلِي، فَأَبَتْ، فَقُلْتُ:

(١) (ص ٤٤).

(٢) «طَرَحُ التَّشْرِيبِ فِي شَرْحِ التَّقْرِيبِ» لِلْعِرَاقِيِّ (٨ / ١٧٤).

وكان ﷺ يعدل بين نسائه ويتحمل ما قد يقع من بعضهن من غيرة.

فعن أم سلمة رضي الله عنها أنها أتت بطعام في صحيفة لها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فجاءت عائشة ومعهما فهر^(١) ففلقت به الصحيفة، فجمع النبي ﷺ بين فلقتي الصحيفة وهو يقول: «كُلُوا، غَارَتْ أُمُّكُمْ - مرتين -»، ثم أخذ رسول الله ﷺ صحيفة عائشة، فبعث بها إلى أم سلمة وأعطى صحيفة أم سلمة عائشة^(٢).

فأين نحن من عفوه وصفحته مع زوجاته رضي الله عنهن، فنجد الزوج غضوب لأتفه الأسباب حتى أنه ليتلفظ بالطلاق من دون سبب معقول، وتخيل أخي - رحمني الله وإياك - لو أن زوجتك فعلت ما قامت به أمنا عائشة رضي الله عنها ماذا أنت فاعل؟؟ بل إن بعض الرجال - هداهم الله - يضربون زوجاتهم

(١) هي الحصاة التي بحجم قبضة اليد أو أكبر قليلاً، كلمة معروفة خصوصاً عند أهل نجد.

(٢) «صحيح النسائي» (٣٩٦٦).

حَتَّى إِذَا حَمَلَت اللَّحْمَ وَبَدَنْتَ وَنَسِيتَ) خَرَجْتَ مَعَهُ فِي
سَفَرٍ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «تَقَدَّمُوا»، فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَى
أَسَابِقُكَ»، وَنَسِيتَ الَّذِي كَانَ، وَقَدْ حَمَلَتِ اللَّحْمَ، فَقَالَتْ:
كَيْفَ أَسَابِقُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ؟ فَقَالَ:
«لَتَفْعَلِينَ»، فَسَابَقَتْهُ فَسَبَقْنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ وَيَقُولُ: «هَذِهِ
بِتِلْكَ السَّبْقَةِ»^(١).

كَمَا رَوَتْ أَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُهَا لَتَنْظُرَ إِلَى أَهْلِ الْحَبْشَةِ يَلْعَبُونَ
بِحِرَابِهِمْ، فَقَدْ رَوَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها مَا يَدُلُّ عَلَى مَلَاطِفَةِ النَّبِيِّ
ﷺ لَهَا، فَقَالَتْ: «وَاللَّهِ! لَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ عَلَى
بَابِ حَجْرَتِي، وَالْحَبْشَةُ يَلْعَبُونَ بِالْحِرَابِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ
يَسْتَرِنِي بِرَدَائِهِ لِأَنْظُرَ إِلَى لَعِبِهِمْ مِنْ بَيْنِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ، ثُمَّ يَقُومُ
مِنْ أَجْلِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفُ»^(٢).

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٢٤١١٨، ٢٤١١٩)، وَابْنُ مَاجَهَ (٢٠١٠)، وَصَحَّحَهُ
الْأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ» بِرَقْمِ (١٥٠٢).
(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٩٣٨) وَمُسْلِمٌ (٨٩٢).

العفو بخلاف ضرب هذين فإنه لحظَّ النفس غالبًا؛ فندب العفو عنها مخالفةً لهواها وكظمًا لغيظها»^(١).

ولقد نصَّ القرآن على جواز تأديب المرأة الناشز في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

لقد ذكرت الآية وسائل التأديب الشرعي، وهي:
أولاً - الوعظ:

قال القرطبي: «﴿فَعِظُوهُنَّ﴾؛ أي: بكتاب الله، وذكروهن ما أوجب الله عليهن من حُسن الصُّحبة، وجميل العشرة للزوج، والاعتراف بالدرجة التي له عليها»^(٢).

ثانيًا - الهجر في المضاجع:

إن لم ينفع الوعظ تحوّل الزوج إلى الوسيلة الثانية، وهي

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١٠/٤٨٨).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٥/١٧١).

ضرب البعير دون شفقة، وهذا مخالف لهدية ﷺ فإنه لم يضرب في حياته كلها ﷺ خادماً ولا امرأة من نسائه - رضي الله عنهن -.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضَرَبَ رسول الله ﷺ شيئاً قطُّ بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يُجاهِدَ في سبيل الله، وما نِيلَ منه شيءٌ قطُّ فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتَهَكَ شيءٌ من محارِمِ الله فينتقم لله عزَّ وجلَّ»^(١).

قال النووي رحمته الله: «فيه أنَّ ضرب الزَّوجة والخادم والدَّابة وإن كان مباحاً للأدب: فتركه أفضل»^(٢).

وقال القاري رحمته الله: «خصاً بالذكر»^(٣) اهتماماً بشأنهما ولكثرة وقوع ضرب هذين والاحتياج إليه وضربهما وإن جاز بشرطه فالأولى تركه، قالوا: بخلاف الولد فإنَّ الأولى تأديبه، ويوجَّه بأنَّ ضربه لمصلحة تعود إليه، فلم يندب

(١) أخرجه مسلم (٢٣٢٨).

(٢) «شرح مسلم» (٨٤ / ١٥).

(٣) أي الزَّوجة والخادم.

إِذَا وَإِنْ كَانَ ضَرْبُ الزَّوْجَةِ جَائِزَ بَشَرٍ ط أَنْ لَا يَكُونَ ضَرْبًا
مَبْرَحًا، وَيَتَّقِي الْوَجْهَ؛ لِحَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ
فِي حُجَّةِ الْوُدَاعِ: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانٍ
اللَّهُ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ
فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهُوْنَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ
مُبْرَحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»^(١).

فَقَدْ أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ تَرْكَ ضَرْبِ النِّسَاءِ هُوَ الْأَفْضَلُ، وَأَنَّ
خِيَارَ الرِّجَالِ مَنْ يَتْرَكَ الضَّرْبَ.

فَعَنْ إِيَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ذُبَابٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ»، فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ: ذِئْرَنَ^(٢) النِّسَاءِ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ؛ فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ،
فَأُطِيفَ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ،

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٢١٨).

(٢) ذِئْرَنَ: أَيُّ نَشْرَنَ وَسَاءَتِ أَخْلَاقِهِنَّ.

الهجر في المضاجع: ﴿وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾.

وهو أن يضاجعها ويولّيها ظهره، ولا يجامعها، روي هذا عن ابن عباس وغيره^(١).

ثالثاً - الضّرب:

الضّرب هو الوسيلة الثالثة إذا لم ينفع مع الزّوجة وعظها وهجرها في المضجع، قال تعالى: ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾، والضّرب في هذه الآية هو الضّرب غير المبرح، وهو الذي لا يجرح، ولا يكسر عظماً، ولا يشين جارحة، كاللكزة ونحوها، فإنّ المقصود منه الصّلاح^(٢).

قال النّووي: «وأما الضّرب المبرح فهو الضّرب الشّديد الشّاق، ومعناه: اضربوهنّ ضرباً ليس بشديد ولا شاقّ، والبرح المشقّة»^(٣).

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٥ / ١٧١).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٥ / ١٧٢)، و«ابن كثير» (١ / ٤٩٣).

(٣) «شرح صحيح مسلم» للنّووي (٨ / ١٨٤).

نَعَمْ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى يَجُوزُ أَنْ يُضْرَبَ، لَا مِنْ أَجْلِ
الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، فَأَغْلِبَ الرِّجَالُ يُضْرَبُ لِأَجْلِ الْأُمُورِ التَّافِهَةِ،
فَالْأَمْرُ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ وَلِيُّ الْأَمْرِ قَائِمًا أَوَّلًا عَلَى حُدُودِ اللَّهِ
وَاعْظًا مَرْبِيًّا مُعِينًا مُسَاعِدًا أَهْلَهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَإِنْ ضَرَبَ
ضَرَبَ لِلَّهِ إِذَا تَعَدَّى عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَيُضْرَبُ بِفِقْهِ، فَلَا
يَكُونُ الضَّرْبُ إِلَّا بِضَوَابِطٍ شَرْعِيَّةٍ.

وَمِنْ حَرْصِهِ عَلَى مَعَاشِرَةِ زَوْجَاتِهِ بِالْمَعْرُوفِ أَنَّهُ كَانَ
«إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ دَارَ عَلَى نِسَائِهِ فَدَنَا مِنْهُنَّ وَاسْتَقْرَأَ أَحْوَاهُنَّ،
فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ انْقَلَبَ إِلَى بَيْتِ صَاحِبَةِ النَّوْبَةِ فَخَصَّهَا بِاللَّيْلِ،
قَالَتْ عَائِشَةُ: «كَانَ لَا يَفْضُلُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فِي مَكَّتِهِ
عِنْدَهُنَّ فِي الْقِسْمِ، وَقَلَّ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا،
فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ حَتَّى يَبْلُغَ الَّتِي هُوَ فِي
نَوْبَتِهَا فَيَبِيتُ عِنْدَهَا»^(١).

(١) «زاد المعاد» (١/١٤٧).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ طَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ
أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أَوْلَئِكَ بِخِيَارِكُمْ»^(١).

قَالَ مُحَمَّدٌ الْعَظِيمُ أَبَادِي فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ:
«بَلْ خِيَارَكُمْ مَنْ لَا يَضْرِبُهُنَّ وَيَتَحَمَّلُ عَنْهُنَّ أَوْ يُوَدِّبُهُنَّ
وَلَا يَضْرِبُهُنَّ ضَرْبًا شَدِيدًا يُوَدِّي إِلَى شَكَايَتِهِنَّ»^(٢).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:
«فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ ضَرْبَهُنَّ مَبَاحٌ فِي الْجُمْلَةِ، وَمَحَلٌّ ذَلِكَ أَنْ
يَضْرِبَهَا تَأْدِيبًا إِذَا رَأَى مِنْهَا مَا يَكْرَهُ فِيهَا يَجِبُ عَلَيْهَا فِيهِ طَاعَتُهُ،
فَإِنْ اكْتَفَى بِالْتَّهْدِيدِ وَنَحْوِهِ كَانَ أَفْضَلَ، وَمَهْمَا أَمَكْنَ الْوَصُولُ
إِلَى الْغَرَضِ بِالْإِيْهَامِ لَا يَعْدَلُ إِلَى الْفَعْلِ؛ لَمَّا فِي وَقُوعِ ذَلِكَ مِنْ
النُّفْرَةِ الْمُضَادَّةِ لِحَسَنِ الْمَعَاشِرَةِ الْمَطْلُوبَةِ فِي الزَّوْجِيَّةِ إِلَّا إِذَا كَانَ
فِي أَمْرٍ يَتَعَلَّقُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ»^(٣).

(١) «صَحِيحُ أَبِي دَاوُدَ» (٢١٤٦).

(٢) «عَوْنُ الْمَعْبُودِ شَرْحُ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (١٤٦ / ١).

(٣) «فَتْحُ الْبَارِي» (٣٠٤ / ٩).

هدي الرسول ﷺ مع أولاده

كان النَّبِيُّ ﷺ شفيقًا على أهله وعشيرته، يدعوهم ويبين لهم، فقد كان حريصًا على إسلامهم ودعوتهم خوفًا عليهم من عذاب النَّار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ! سَلِّينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٦٠٢) ومسلم (٢٠٦).

فهل من متأمل؟ كيف كان نبينا - صلوات الله وسلامه
 عليه - مؤدياً لحقوق زوجاته دون نقصان، محتسباً الأجر في
 ذلك عند الرحمن.

رقية - وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَذْرًا وَسَهْمَهُ»^(١).

نعم، إنها المسؤولية الحقّة التي لا تحتاج إلى بيان وتوضيح، بل إلى اقتداء وعمل؟!!

فإلى من يلجأ للبحث عن كيفية رعاية أهل بيته بين صفحات علم النفس التربوي الحديث الذي أغلبه مصادر التربية الغربيّة التي لا تزيد الأمر إلا تعقيداً، هلّا رجعت إلى منابع دينك ففي السُّنة وشروحها - والله - ما يغنيك كلّ الغنى، ففيها الصّفاء والنّقاء والصّدق والهناء والراحة والسّعادة، فاسأل المجربين؟!!

وكان ﷺ رحيماً بأولاده: فقد أخذ ولده إبراهيم فقبّله وشمّه^(٢).

وعاتب بعض النّاس على قسوته وترك رحمة الصّغير،

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٢٠).

وقد أمر بناته بالتستر وقوفاً عند قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا

النَّبِيُّ قُلٌّ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَبِيبِهِنَّ^٥
ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ^٦ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾

[الأحزاب: ٥٩].

قال القرطبي عند تفسير الآية: «يقول تعالى أمراً رسوله
- صلى الله عليه وسلم تسليماً - أن يأمر النساء المؤمنات
- خاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدنين عليهن من
جلابيبهن، ليميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء».

بل وكان النبي ﷺ راعياً لأبنائه رعاية كاملة تامة حتى
في الأوقات الحالكة والصعبة، فقد ذكر البخاري أنه لما أراد
الخروج لبدر أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يبقى عند زوجته
رقية بنت الرسول ﷺ لأنها كانت مريضة.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «وَأَمَّا تَغِيْبُهُ - أي: عثمان ابن
عفان - عن بدرٍ؛ فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ - وهي:

بل وكانت تفيض عيناه ﷺ لموتهم، وقد سأله مرة سعد
ابن عباد: يا رسول الله! ما هذا؟ فقال ﷺ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا
اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءُ»^(١).

وكان يكرم أولاد بناته إكرامًا لأُمَّهَاتِهِمْ، فقد خرج على
الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأمامة بنت الرِّبيع ابنة زينب على عاتقه،
فصَلَّى، فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها^(٢).

وكان ﷺ حريصًا على تربيتهم وتعليمهم وأمرهم
بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فحينما أراد حفيده الحسن
- وهو صغير - أن يأكل تمرًا من الصَّدَقَةِ نَهاه عن ذلك^(٣).

وانظر - رحمني الله وإياك - كيف كان يعامل ﷺ بناته،
فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أَقْبَلْتُ فَاطِمَةَ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا
مِشْيَةُ النَّبِيِّ ﷺ فقال النَّبِيُّ ﷺ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٤) ومسلم (١١٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٦) ومسلم (٥٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٦٩).

كما فعل مع الأقرع بن حابس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ
الأقرع بن حابس أبصر النَّبِيَّ ﷺ يَقْبَلُ الْحَسَنَ، فَقَالَ: إِنَّ لِي
عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ!! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لَا يُرَحِّمُ لَا يُرَحَّمُ»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
فَقَالَ: تَقْبَلُونَ الصَّبِيَّانِ؟! فَمَا نَقَبْلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ
أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»^(٢).

فَمِنْ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ مَنْ هُمْ غِلَظُ شِدَادٍ عَلَى أَوْلَادِهِمْ،
فَلَا رَحْمَةً وَلَا شَفَقَةً عَلَيْهِمْ، يَضْرِبُونَهُمْ ضَرْبًا مَبْرَحًا لِقِيَامِهِمْ
بِأَخْطَاءِ بَسِيطَةٍ يُمْكِنُ التَّجَاوُزُ عَنْهَا مَعَ التَّوَجُّهِ لَهُمْ وَالتَّيْبِينَ،
مُتَنَاسِينَ أَنَّ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ مَا لَا
صَبْرَ لِلْآبَاءِ الْيَوْمَ عَلَيْهِ.

(١) أخرجه البخاري (٥٥٣٨) مسلم (٤٢٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣٩).

هدي الرسول ﷺ مع خدمه

أَمَّا خُلُقُهُ ﷺ مع الخدم؛ لم تختلف عن معاملة غيرهم من الأحرار، فعن أنس رضي الله عنه قال: خدمت النَّبِيَّ ﷺ عشر سنين، والله ما قال أفَّ قطُّ، ولا قال لشيءٍ لمَ فعلتَ كذا وهلاً فعلتَ كذا^(١).

قال النووي: «وفي هذا الحديث بيان كمال خلقه ﷺ وحسن عشرته وحلمه وصفحه»^(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله في شرحه للحديث: «يعني ما تضجَّر منه أبداً، عشر سنوات يخدمه ما تضجَّر منه، والواحد منَّا إذا خدمه أحدٌ أو صاحبه أحدٌ لمدة أسبوع أو نحوه لا بدَّ أن يجد منه تضجُّراً، لكنَّ الرَّسُولَ ﷺ عشر

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٠).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٧٨/١٥).

عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثاً، فبكت، فقلتُ لها: لم تبكين؟ ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حُزني، فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأُفشي سرَّ رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتها فقالت: أسرَّ إلي: «إِنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي»، فبكيْتُ، فقال: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ»، فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ^(١).

فهل لنا في رسول الله أسوة حسنة أم أننا نفضل الذكور على الإناث معنوياً ومادياً إلا من رحم الله.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٦).

وعن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: «ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل»^(١).

لقد ضرب لنا رسول الله المثل الأعلى في المعاملة الحسنة حتى مع خدمه، فهو القائل ولا شك أنه أول العاملين فيما رواه عنه أبو ذر رضي الله عنه قال: «إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ»^(٢)، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»^(٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «أَعِينُوا الْعَامِلَ مِنْ عَمَلِهِ؛ فَإِنَّ عَامِلَ اللَّهِ لَا يَخِيبُ يَعْنِي الْخَادِمَ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٣٢٧).

(٢) خَوَلُكُمْ معناها خدمكم.

(٣) أخرجه مسلم (١٦٦١).

(٤) «صحيح الأدب المفرد» (١٩١).

سنوات وهذا الرَّجُل يخدمه، ومع ذلك ما قال له أفُّ قطُّ»^(١).

وعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ أحسنَ النَّاس خُلُقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلتُ: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجتُ حتَّى أَمَرَ على صبيانٍ وهم يلعبون في السُّوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرتُ إليه وهو يضحك، فقال: «يا أنيسُ! أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟»، قلتُ: نعم! أنا أذهب يا رسول الله! قال أنسُ: والله لقد خدمته تسع سنين، ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا؟ أو لشيء تركته: هَلَّا فعلت كذا وكذا»^(٢).

ومن أخلاقه الكريمة ﷺ أنه ما انتقم لنفسه وما ضرب خادماً ولا أمره^(٣).

(١) «شرح رياض الصالحين» (٢ / ٣٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣١٠).

(٣) وقد سبق حديث عائشة، ويذكر فيه الخادم في هديه ﷺ مع زوجاته.

الأجر كانت له صدقة.

وأوصى وهو في فراش الموت بِمِلْكِ اليمين وهم الخدم
الأرقاء المملوكين، فعن أنس رضي الله عنه قال: كانت عامّة وصيّة
رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ»، حتّى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره، وما
يكاد يفيض بها لسانه^(١).

(١) «صحيح سنن ابن ماجه» (١٣١٧)، و«السلسلة الصحيحة»

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَنَعَ
لِأَحَدِكُمْ خَادِمُهُ طَعَامَهُ ثُمَّ جَاءَهُ بِهِ وَقَدْ وَلِيَ حَرَّهُ وَدُخَانَهُ
فَلْيُقْعِدْهُ مَعَهُ فَلْيَأْكُلْ فَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ مَشْفُوهاً قَلِيلاً فَلْيَضَعْ
فِي يَدِهِ مِنْهُ أَكْلَةً أَوْ أَكْلَتَيْنِ»^(١).

قال النووي: «وفي هذا الحديث الحثُّ على مكارم
الأخلاق والمواساة في الطَّعام، لا سيما في حقِّ من صنعه أو
حمّله؛ لأنَّه ولي حرَّه ودُخانَه وتعلَّقت به نفسه وشَمَّ رائحته،
وهذا كله محمول على الاستحباب»^(٢).

وجعل ﷺ النِّفقة عليه صدقةً، فقال: «مَا كَسَبَ الرَّجُلُ
كَسْبًا أَطْيَبَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ
وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ فَهُوَ صَدَقَةٌ»^(٣).

فَنَفَقَةُ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْخَادِمِ وَاجِبَةٌ، فَلَمَّا احْتَسِبَ

(١) أخرجه مسلم (١٦٦٣).

(٢) «شرح مسلم» (١١ / ١٤٥).

(٣) «صحيح الجامع» (٥٦٦٠).

الخاتمة

إِنَّ السَّلَامَةَ كُلَّ السَّلَامَةِ فِي التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَمَا
كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَالِاقْتِدَاءُ بِهِ مَخْرُجٌ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ،
وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ مُحَنَةٍ، فَلْتَتَمَسَّكَ بِهِدْيِهِ تَمَسُّكًا صَادِقًا،
وَلْنَعْرِضْ أَعْمَالَنَا وَأَقْوَالَنَا وَمَعَامِلَاتَنَا وَجَمِيعَ شُؤُونِ حَيَاتِنَا
عَلَى مِنْهَجِهِ وَطَرِيقَتِهِ، فَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا فَمَا
عَلَيْهِ إِلَّا بِالْعَظْمِ بِالنَّوَاجِذِ عَلَى هَدْيِهِ ﷺ فِي كُلِّ شُؤْنٍ
حَيَاتِيٍّ، وَقَدْ رَأَيْتُ هَدْيَهُ ﷺ فِي بَيْتِهِ فَمَا عَلَيْكَ - أَخِي الْقَارِئُ -
إِلَّا اتِّبَاعَهُ، أَمَّا أَنْ نَدَّعِي مُحِبَّتَهُ وَنَحْنُ نَخَالِفُ سُنَّتَهُ، وَلَا
نَلْتَزِمُ هَدْيَهُ فِي شُؤُونِهِ كُلِّهَا، فَهَذَا هُوَ الْحُبُّ الْكَاذِبُ؛ ﴿قُلْ إِنْ
كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٢١﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ
فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ

وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ

فَخُذُوهُ وَمَنْ حَبَّ رَأْيَكُمْ عَنْهُ فَلْيُخَذْ بِرَأْيِكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

وَفَّقَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِلْعَمَلِ بِالسُّنَّةِ، هَذَا مَا وَفَّقَنِي اللَّهُ

لِكِتَابِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

فهرس الموضوعات

كلمة الشَّيخ عبيد الجابري	٥
المقدِّمة	٧
هدي الرَّسول ﷺ في بناء وتأثيث بيته	١٢
هدي الرَّسول ﷺ في عبادته	١٩
هدي الرَّسول ﷺ مع زوجاته	٢٦
هدي الرَّسول ﷺ مع أولاده	٤١
هدي الرَّسول ﷺ مع خدمه	٤٧
الخاتمة	٥٢